المجتمع المعلم المتعلم والتخطيط الاجتماعى
من الحوار المفقود الى الدور المنشود

خضر عبد العظيم أبو قوره *

إن الفضائل لاتقتنى إلا بالشوق إليها، والحرص عليها ، والطلب لها . والشوق والحرص والطلب لايكون إلا بمشوق وباعث ودافع . فلهذا برزت الأريحية والهزه ، والشوق والعزة. الأريحية للروح ، والهزة للنفس ، والشوق للعقل، والعزة للإنسان.

" التوحيدى"

توطئه عن الاشكالية والمنهج والقضية البحثية

دراستنا تلك الموسومة " المجتمع المعلم المتعلم والتخطيط الاجتماعى من الحوار المفقود الى الدور المنشود " تتناول موضوعا كان مفروضاً ومطلوباً أن ينطلق البحث والدرس والتجريب والتعميم فيه فى معاهد البحث العلمى ومراكزه المتخصصة منذ مايزيد على ثلاثة عقود خلت. ان لم يكن قبيل ذلك كما فعلت كثير فى البلدان.

لقد غدا من المسلمات والبديهيات أن المجتمع فى بنيته الاجتماعية، وأنساقه الأساسية هو حجر الزواية بل وركيزه لكل مشروع تنموى يتطلع الى انجاز التقدم. ولكن التجارب التنموية فى مجتمعاتنا العربية ومصرنا فى طليعتها وإحداها والتى تحتل جل اهتمامنا فى تلك الدراسة قد جرت

*أ. د. خضر عبد العظيم أبو قوره: مستشار بمركز التخطيط الاجتماعى والثقافى- معهد التخطيط القومى.

فيها الأمور على غير ماتقتضيه مناهج علم اجتماع التنمية وعلم الاجتماع التربوى والتخطيط الاجتماعى على حد سواء[١].

كان مفروضاً ومطلوباً أن تكون المعطيات النظرية والتجارب التطبيقية لعلم اجتماع التنمية والاجتماع التربوى فى متناول التخطيط الاجتماعى. والذى كان مفروضاً ومطلوباً أن يكون (أى التخطيط الاجتماعى) حاضراً وفاعلاً لصياغة وتشكيل البناء الاجتماعى للمجتمع المعلم المتعلم[٢].

وفى البداية نضع التساؤل المحورى التالى:

ماهو المقصود بالمجتمع المعلم المتعلم... ؟

وماهى علاقته بالتخطيط الاجتماعى؟

ونجيب على ذلك مباشرة فى الفقرات التالية:

ان المجتمع.. أى مجتمع ، يحتاج لاستمرارية وجوده الى تعليم وتعلم مستمرين. واذا كان من الخواص الأساسية للمجتمع خاصية التغير. فكل شئ يتغير فى البيئة من الموارد الى الحاجات والرغبات. فهل يتغير الانسان فى معلوماته وكذلك فى مفاهيمه وسلوكياته.. ؟ واذا كان الجواب بالايجاب - وينبغى أن يكون كذلك - فهل يجرى ذلك بطريقة آلية ميكانيكية؟ وهنا لايكون للتخطيط الاجتماعى دور يذكر فى عملية التغير وخاصة فى جانب هام منها وهو صياغة المجتمع المعلم المتعلم؟

أم أن العلاقة فيما بينهما عضوية ترابطية يلعب فيها التخطيط الاجتماعى دوراً فعالا فى اكساب المجتمع مفاهيم وعادات جديدة تتوافق مع احتياجاته الجديدة المتغيرة. ومع تطلعات المجتمع للحياه الأفضل هل يكون تلقائياً مفاهيم ومعارف متنامية تتوازى مع الحاجات والتطلعات؟[٣]

ان هذه العلاقة العضوية تسمح للمجتمع بالتجديد وتفتح له قنوات ومسارات متعددة فى شبكة علاقاته الاجتماعية ومؤسساته التنظيمية التى تُعلم (بضم التاء وفتح العين وتشديد اللام وتسكين الميم) وتتعلم (بفتح التاء والعين وتشديد اللام وتسكين الميم) فى آن واحد وذلك من خلال وسائل متعددة للتجدد الذاتى لكل من الفرد والمجتمع سواء أن يعلم فرد فرداً أخر أو جماعة فى مرحلة تهدف للوصول بهم الى تعليم كل منهم كيف يعلم نفسه بنفسه. فيتعلم الشخص كيف يعلم ذاته من خلال تزويده بالطرق والوسائل الذاتية لتجديد الذات وجعلها فى حاجة مستمرة بطلب المزيد من العلم والمعرفة. وهنا يلعب التخطيط الاجتماعى دوراً فعالاً فى ايجاد العلاقة العضوية بين العلم

والتعلم فى جانب والاحتياجات المجتمعية فى جانب آخر. والعمل على أن تكون هذه العلاقة متجددة ومواكبة للعصر ومتطلباته.

وأحياناً يكون البعد المستقبلى واضح المعالم فى عملية التعلم بصورة تسمح للمجتمع أن يستعد لمواجهة الاحتياجات المستقبلية والاستعداد لتبعاتها ومتطلباتها ومشكلاتها[٤].

أما عن المنهج المستخدم فى هذه الدراسة فهو المنهج النقدى الهادف الى تحليل وتفسير الوقائع والظواهر الاجتماعية فى ضوء وتحت مظلة البنية الكلية للعلاقات الاجتماعية فى المجتمع مستفيدين بقدر الامكان من دراسات وتجارب بعض منظرى الاتجاه النقدى فى علم الاجتماع بصفة عامة وفروعه الاجتماع التربوى والاجتماع المعرفى بصفة خاصة وذلك فى ضوء بعض التجارب العملية الحية التى برزت على سبيل المثال لا الحصر فى دراسات كل من بول بورديبه Paul Bourdieu وج باسيرون J. Passeron و.ج كاجنيف وباولو فريرى... الخ. وخاصة من خلال تركيزهم على محاولة التوصل إلى ادراك العلاقة السببية أو شبه السببية التى تكون فى جملتها مجموعة الشروط البنيوية لوجود الوقائع والظواهر الاجتماعية. سواء فى صورتها الايجابية الواعدة بتحقيق عملية التغير الاجتماعى الموصل الى التقدم أو فى صورتها السلبية المؤدية الى تحقيق الجمود الاجتماعى أو التخلف[٥].

أما عن القضية البحثية فهى "طبيعة العلاقة بين المجتمع المعلم المتعلم والتخطيط الاجتماعى.. الحوار المفقود والدور المنشود"، حيث إن التخطيط الاجتماعى المترابط عضويا مع ظاهرة المجتمع المعلم المتعلم يغير من أهداف التعليم وأولوياته للدرجة التى تسمح للمواطن أن يتعلم كيف يعلم نفسه وبذلك تتحقق غاية عليا منْ غايات التخطيط الاجتماعى وهى التعليم المجتمعى المستمر من المهد الى اللحد الذى من خلاله يتمكن المجتمع من أن يوفر لأبنائه أدوات تعليم نفسه ووسائل تطوير مجتمعه وتنمية قدراته وتكوين شخصيته وزيادة تراكم معارفه وصقل مواهبه وحينما يصل الأمر بالمجتمع أن يصل بفئاته المختلفة الى ظاهرة اجتماعية قوامها النسق الاجتماعى المعلم المتعلم. ذلك النسق الذى يفتح الباب على مصراعيه كى تتفاعل مكونات البناء الاجتماعى بعضها مع البعض الآخر تفاعلاً ايجابيا خلاقاً تزيد به ومعه الطاقة الانتاجية المجتمعية، ومن خلال دور التخطيط الاجتماعى يأتى التطوير والمتابعة والتقويم والتقدم والابداع كل فى حينه ومجاله وهذا هو الشق الأول فى القضية.[٦]

أما عن الشق الثانى فان الذى يرصد حصاد هذا الكم من الندوات والمؤتمرات والحلقات التى عقدت على المستويات المحلية فى كل بلد عربى على حده وكذلك الاقليمية والدولية عن القضايا

الاجتماعية للتعليم فانه يجد أن معظمها قد أغفل جانبا أساسيا لايزال مطروحاً على الباحثين والخبراء والدارسين... وهو أى انسان نريد وأى مجتمع نهدف الى تكوينه ونسعى اليه من خلال التعليم؟

الحوار المفقود

اذا كان الجمع بين المجتمع المعلم المتعلم غاية اجتماعية تربوية وواحدة من التطلعات التنموية الكبرى فى العالم بأسره بما لها من مزايا اجتماعية واقتصادية وتربوية. فان للتخطيط الاجتماعى دورا فى هذا الجمع بين عمليتى التعليم والتعلم يختلف فى الشكل والمضمون باختلاف المجتمعات ومدى تصورها وتطبيقها لعملية الجمع تلك وسبل تنظيمها اياها واختلاف الأطر التنظيمية التى تحتويها. فهل قام التخطيط الاجتماعى بهذا الدور أم تخلف عنه وهل حدث حوار على مستوى المنهج والتطبيق بينه (أى التخطيط الاجتماعى) ومؤسسات التعليم النظامى أو اللانظامى أو مايعرف ببرامج التعليم المستمر. وهل انتقل الحوار الى مرحلة الفعل والتنفيذ أم أن ذلك لايزال فى مرحلة الأمال والتطلعات؟

هل نجح الحوار والدور فى الانتقال بالعملية التعليمية التربوية فى قالبها الفنى أو التقنى الى قالبها السوسيولوجى..؟ وهل حدث ذلك من خلال تخطيط اجتماعى أم من خلال العشوائية...؟

ماهو الهدف فى المناهج والطرائق والأصول والادارات فيما يتصل بالانسان والمجتمع؟ وهل يمكن الفصل بينهما؟ وهل يجوز البحث فى الفروع دون الاتفاق والاستقرار على طبيعة الأصول..؟ وهل يجوز البحث فى علوم التربية والتعليم بمعزل عن علم الاجتماع وفروعه؟ هل يجوز البحث فى العلوم والفنون التربوية قبيل التساؤل عن مستودعها ومستقرها وهو المجتمع ؟ هل يجوز فصل الوسيلة فى التعليم والتربية عن الهدف وهو بناء انسان من طراز معين ومجتمع فى نمط معين تتغلغل فى ثناياه قيم تكون فى مجموعها نسقاً متكاملاً لمجتمع يتعلم مايحتاج اليه وماينفعه فى الحاضر والمستقبل . وفى نفس الوقت يعلم مايريده أبناؤه وتحتاجه أنساقه؟[٧]

واذا كان للتخطيط الاجتماعى دور فما طبيعته؟ وهل نجح فى افراز عمليات ايجابية جديدة وفى مقدمتها العملية التنموية؟ وهل ساهمت تلك العملية التنموية الرئيسية فى افراز عمليات فرعية ساهمت بدورها فى تمويل عملية بناء الوحدة المجتمعية المعلمه المتعلمه فى نفس الوقت ؟ والجمع هنا بين الظاهرة التربوية والظاهرة التنموية (وخاصة عمليتى الانتاج والتوزيع) هل أقام علاقة ايجابية بين

المجتمع المعلم المتعلم فى جانب وبين العناصر الخلاقه والمبدعة فى التنمية فى جانب آخر؟[٨]

هل خرجت عملية التعلم من اطارها التقليدى المتمثل فى القراءة والكتابة أو تلقى دروس معينة طبقا لبرامج تقليدية الى مجال أوسع وأرحب حيث يكون الانتاج مدخلاً فعالا للمساعدة فى تنمية المدارك واكتساب قدرات عقلية أو مهارات جديدة تسهم بدورها اما فى تحسين العملية الانتاجية أو زيادتها؟ وهنا أيضا يبدو الترابط العضوى بين المجتمع المعلم والمتعلم والتخطيط الاجتماعى لما للأخير من أهمية وظيفية فى تحقيق الترابط العضوى بين البعد الاجتماعى والبعد التربوى والبعد الاقتصادى. حيث تعمل الأبعاد الثلاثة من خلال منظومة واحدة يتحول معها التعليم الى عمل اجتماعى شامل يهدف الى تحسين الانتاج أساسا ثم العمل على زيادته وتنمية الوعى بهذا الدور لدى الفرد والجماعة وهنا يأتى الدور المنشود للتخطيط الاجتماعى لكى يمارس التنسيق والربط القوى والفعال لعملية الجمع بين التعليم والتعلم وبين الانتاجية بابراز مقومات الارادة الانسانية للمجتمع بعيداً عن العشوائية مع ما فى ذلك من مزايا اجتماعية وتربوية واقتصادية ونفسية[٩].

اذا كان المجتمع المعلم المتعلم يساعد على زيادة الانتاج فان الانتاج بدوره يساعد فى تمويل برامجه التعليمية. فالتربية والتعليم المستمر مطلب مجتمعى متزايد يتطلب امكانات ونفقات متزايدة حتى فى البلدان الصناعية المتقدمة أو ما تعرف بمجتمعات العالم الأول حيث لاتستطيع أن توفر لمواطنيها التعليم المستمر الذى يتوافق مع طموحات كافة الفئات ومختلف المستويات. فالمعوقات المادية تقف حجر عثره فى هذا الطريق واذا كانت هذه ظاهرة واضحة فى هذا النوع من المجتمعات فانها أكثر وضوحاً فى البلدان النامية.

وهنا نعود مرة أخرى الى التخطيط الاجتماعى وهل له دور معين فى توزيع الموارد أم لا؟ وما هى حدود ومقومات هذا الدور..؟ فعادة ماتتوافر الوسائل التربوية الممتازة لشريحة قليلة فى المجتمع ذات قدرة اقتصادية على تحصيل هذه الغاية والتى تظل (أى الغاية) مطلباً عسيراً متعذراً لغالبية فئات المجتمع التى يحول ضعف امكاناتها ومواردها الاقتصادية دون الحصول عليها فتحرم منها أو تكاد. وهل يتولى التخطيط الاجتماعى تصحيح هذه المعادلة من خلال تنمية ظاهرة المجتمع المعلم المتعلم ودوره الفعال فى زيادة الانتاج. تلك الزيادة التى توفر امكانات تساعد على التوسع فى برامج التعليم المستمر كى يصل الى شرائح أعرض فى المجتمع.

لقد بات واضحاً أن صالح المجتمع بمختلف شرائحه وفئاته توفير المناخ لبلورة ظاهرة المجتمع المعلم المتعلم لما لهذه الظاهرة من أثر مباشر على زيادة الانتاجية - كما سبق أن أوضحنا - وزيادة

الانتاجية تأتى على رأس سلم أولويات المجتمع المعلم المتعلم ولربما تكون مطلباً أكثر الحاحاً وأهمية فى الكفاءة الفكرية والأكاديمية فى مرحلة زمنية معينة حيث أنها أى زيادة الانتاجية ورفع كفاءتها لسوف تستخدم امكاناتها ومواردها فى تجويد العملية التعليمية وتحسين مستوى الفعالية فيها مما ينعكس أثره الايجابى على الكفاءتين الفكرية والأكاديمية(١٠).

هل نجح التخطيط الاجتماعى فى ربط الانتاج بالتكوين المهنى عبر التعليم؟ ان هذا النجاح له آثاره الايجابية على العملية التربوية ذاتها شريطة الا يتم اهمال أو نسيان التعليم الأكاديمى ومقوماته النظرية. فالعمل اليدوى - حتى فى أبسط صوره الأولية من خلال التكنولوجيات الصغيره له أثره فى تنمية المهارات العقلية واتاحة فرص تكوين المفاهيم وخاصة فى المجتمعات الريفية. وكلما زادت الوحدات المجتمعية للمجتمع المعلم المتعلم كلما زادت البنية الاجتماعية المنتجة وكلما تنوعت وحدات هذه البنية فى البناء الاجتماعى الكبير لبلد ما كلما وضح أثرها التعليمى كعامل قوى من عوامل التربية حيث نجد البنية الاجتماعية المنتجة زراعيا أو صناعيا. بل قد يحدث الامتداد الكيفى لهذه البنيه الاجتماعية حيث تتحول الى مدرسة متحركة فيحدث التداخل والتفاعل بين عمليات كثيرة فى نسيج المجتمع الواحد. بعض هذه العمليات هو التعليم وبعضها الآخر هو التعلم وبعضها الثالث هو الانتاج وبعضها الرابع مراقبة الجودة والخامس هو التدريب والسادس هو اعادة التأهيل وهكذا يتحول المجتمع المعلم المتعلم الى مايشبه خلية النحل بحيث تجرى عملية التغير والتحول من حاله الى أخرى أفضل من سابقتها وأحسن فى سهولة ويسر. وتكون المحصلة فى نهاية الأمر تنمية تحتيه للبنية الاجتماعية المحلية. والتى يتوافر لها من المرافق والخدمات ما لم يكن متاحا لها قبيل هذه العملية الاجتماعية(١١).

الدور المنشود

على الساحة الأكاديمية هناك ثلاث مدارس علمية تتعامل مع قضية المجتمع المعلم المتعلم وان كانت كل واحدة من تلك المدارس تحوى فرقاً عديدة.وكل فرقة تحوى شعباً وفروعاً عدة. ولن نستغرق فى التفاصيل والفرعيات مكتفين بالأساسيات.

فى الأولى نجد مزجاً واضحاً بين التعليم والتربية من جانب والمجتمع من جانب آخر حيث لايمكن تغيير المجتمع بمعزل عن التربية حيث يرى أصحابها بأن اعادة تشكيل المجتمع لابد وأن يمر عبر قنوات التعليم والتربية. وهذا الاتجاه له جذوره القديمة منذ عهد أفلاطون ثم تبلورت معالمه من خلال المدرسة السويسرية فى التربية عبر المربى السويسرى الشهير بستالوتزى (١٧٤٦-١٨٢٧) والذى يقيم

تواصلا بين المسألة التربوية والمسألة الاجتماعية وامتد التواصل بعده على يد جان جاك روسو (١٨١٢-١٨٦٧) ثم ظهرت معالم هذا الاتجاه واضحا من خلال المفكر الألمانى اما نويل كانت.

ومن خصائص هذه المدرسة مايسمى أو يعرف بالتربية الحديثة ومن أبرز روادها عالم التربية السويسرى فيريير Ferriere صاحب تجربة المدرسة الفعاله L'Ecole active صاحبة الدور الاجتماعى فى المجتمع من خلال الطفولة حيث الحرص الدءوب على أن تجعل المدرسة من الأطفال قيمة اجتماعية قبيل أن تجعل منهم قيمة تعليمية أو اقتصادية أو سياسية ومن رواد ذلك الاتجاه فى المانيا عالم الاجتماع التربوى الألمانى كرشنشتاينر Kerschensteiner (١٨٥٤-١٩٣٢)، وصاحب مدرسة العمل والتى أكد من خلالها أنه بالامكان الوصول فى المدرسة عن طريق العمل الى صياغة المجتمع صياغة اخلاقية جديدة ومن رواد هذه المدرسة فى فرنسا أفاتزينى صاحب نظرية تجديد المجتمع من خلال التعليم والتربية. ومن أبرز رموز هذا الاتجاه منذ منتصف ستينات هذا القرن لوبرو Lobrot وفريق الباحثين معه أمثال توسكيل Tosquelles وفاسكيز Vasquez الذين أكدوا على دور التعليم والتربية فى صناعة المجتمع وهنا يقولون " ان مجتمع الغد اما ان تصنعه مدرسة المجتمع، كل المجتمع، واما لايكون . وأن تغيير المجتمع للأفضل يبدأ من المدرسة من خلال الانسان".

وانتقلت هذه المدرسة الى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق أبحاث ودراسات عالم النفس الاجتماعى الأمريكى ك. روجرز Car Ranson Rogers الذى ركز على أمراض المجتمع الأمريكى وأعراضها وأن تجديد هذا المجتمع ينبغى أن يكون أول أهداف التعليم خاصة حينما أصر روجرز على أن الهدف من التعليم ينبغى أن يكون بناء الانسان وأن مجتمع التربية ومؤسساتها هو العنصر الفاعل " المعلم" والمجتمع هو المفعول به " المتعلم"[١٢]

الثانية فرنسية المولد وهى التى ترى أن المجتمع " المعلم" هو الذى يحدد للمدرسة أهدافها وأن نسق القيم فى المجتمع هو الذى ينظم التربية وفق نظرية القيم التى يتبناها ووفق تصوره المفضل. فالتربية هى العمل الذى تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التى لم تنضج بعد من أجل حياة اجتماعية أفضل. ويستدلون على ذلك بأن الدافع الى تجديد طرائق التربية فى عصر النهضة مثلاً لم يكن علم النفس ومنجزاته بل التغيرات التى أملت مفهوماً جديداً وتصوراً جديدا للانسان لم تكن تلك المكتشفات الجديدة سوى تعبير عنه وكفلت له معظم احتياجاته. فالبيئة الاجتماعية والظرف الاجتماعى هو الذى يوجه ويدفع الى التنظير وأن الانسان يتشكل على نحو مايريده المجتمع وأن التعليم يفسح للانسان المجال للغايات التى توجهها الدينامية الاجتماعية أى من أجل أن يكون

الانسان على وفاق مع المجتمع. وبالتالى فعلى المدرسة ألا تقصى أمر المجتمع وألا تتغافل عن احتياجاته. ومن أبرز رواد هذه المدرسة شارل فورييه Charles Fourrier ول. فافر L. Febvre

وحسبما جاء فى مقدمة الجزء الخامس عشر فى الموسوعة الفرنسية يقول هذان العالمان التربويان " ان البيداجوجيا هى الضمان الذى يتخذه المجتمع ضد الكوارث المحتمله. فالتعليم لايقوى وحده - حسب وجهة نظر تلك المدرسة على اصلاح المجتمع. فانبثاقه أصلاً من المجتمع وتبعيته له تفرض عليه - أى على التعليم - أن يهتدى بانساق القيم المجتمعية. ومن أنصار هذه المدرسة علماء التربية وعلم الاجتماع المعاصرين سيلستين فرينيه (١٨٩٦-١٩٦٦) Celestin Freinet وبيير بورديبه Pierre Bourdieu وجان كلود باسيرون J.C. Passeron

ففى بحث شهير كان موضوعه " الورثه. الطلاب والثقافة Les Heritiers: Les Etudiants et La Culture يرى كل من بورديبه وباسيرون أن الحوار لابد وأن يكون متصلاً بين التعليم والمجتمع من خلال المدرسة والمؤسسات التعليمية والتربوية المختلفة التى تسهم اسهاماً كبيراً فى اعادة توليد النظام الاجتماعى القائم وتجديده وتطويره. دون أن تكون الأداه الوحيدة لهذا التوليد فهناك أدوات أخرى كثيرة تختلف من مجتمع لآخر ينبغى أن يكون الحوار متصلا فيما بينها لكى يقوم كل فرد بدوره المطلوب لاعادة الانتاجية المجتمعية فى شتى القطاعات. ولقد استفادت هذه المدرسة من تراث علم الاجتماع التربوى وعلم الاجتماع المعرفى فى المدرسة السوسيولوجية الفرنسية خاصة حينما توسعت فى استخدام منهج التحليل النسقى وأجادت توظيفه فى عمليات تجديد وتطوير البنية المجتمعية من خلال التعليم والتربية[١٣].

والمدرسة الثالثة تعرف باسم المدرسة التوفيقية التكاملية وهو اتجاه تأخذ به جمهرة غفيرة من المربين والباحثين فى علوم التربية والنفس والاجتماع وهو اتجاه يقف من المدرسة ودورها فى تكوين المجتمع موقف الموفق حيث التعليم والتربية تشكلان العنصر الفاعل المعلم فى تغييرها للمجتمع المفعول به "المتعلم" حينا والمجتمع يشكل العنصر الفاعل المُعلم ويفيد التربية المفعول به " المتعلم" حينا آخر ويجرى ذلك فى حركة دائرية فى الحوار الدائم والتناغم المستمر بين معلم ومتعلم وفاعل ومنفعل بحركة دائرية لايبدو واضحاً على السطح فيها من يعطى ومن يأخذ من يعلم ومن يتعلم الا من خلال التحليل الدقيق والعميق لدور الانساق والتداخلات فيما بينها من أخذ وعطاء وروابط تأثير وتأثر. وتقييم وتقويم ومد وجذر. وهذه العلاقات يمكن قياسها وفق أساليب فنية كثيرة استخدمها علم القياس الاجتماعى منها على سبيل المثال لا الحصر البرمجة الخطية وتحليل المنفعة، والتكلفة والمسار

المتكامل والمسار الحرج... التقويم والمراجعة .. الخ وهنا فان للتخطيط الاجتماعى دورا كبيرا وفعالا(١٤).

بعض من الحصاد

اذا كان لكل عصر سماته وخصائصه فان سمات وخصائص هذا العصر " التنمية" وأهم جوانبها العنصر البشرى فيها ودعامته الرئيسية التعليم والتربية من خلال تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية وتطوير مؤسسات الانتاج والخدمات فيها. لكن هذا لايمكن أن يتم بعيداً أو منعزلاً عن التخطيط الاجتماعى.

ان وسائل التنمية فى المجتمع غدت واسعة النطاق لاتقدر عليها ولاتتحملها التربية النظامية أو التعليم النظامى وحده بل يتطلب الأمر الاهتمام بالتعليم المستمر.. التعليم المتواصل وظاهرة المجتمع المعلم المتعلم وسيلته وغايته فى آن واحد.

إن امتزاجاً عميقاً يحدث فى لحمة النسيج الاجتماعى وسداها. بين التربية بمعناها التقنى المحدود ومختلف أنماط النشاط الاجتماعى التى يحتويها المجتمع والتعليم والتربية احداها. ومن هنا صعوبة الفصل بين التربية والمجتمع بين المجتمع المعلم والمتعلم. فعمل التربية جزء من الانتاجية المجتمعية كما أن عمل المجتمع يحمل فى ثناياه مكونات العمل التربوى ويمتص هذا العمل ويحتويه فى بنائه الاجتماعى الكبير . ومن هنا يأتى دور المجتمع فى الانتقال بالانسان من مستوى طبيعته العضوية الغريزية الى مستوى طبيعته الاجتماعية بمكوناتها الحضارية والتى يصل اليها من خلال امتصاصه لتراث المجتمع وتمثله لمحتويات نسق القيم فيه. ولقد ظهرت معالم ذلك الاتجاه فى التقرير الدولى الشهير الذى أصدرته منظمة اليونسكو والذى عكفت على اعداده لجنة من مجموعة من الخبراء المتخصصين برئاسة إدجارفور وزير التعليم الفرنسى السابق فى عهد الرئيس السابق شارل ديجول والذى نشر فى عام ١٩٧٤، تحت عنوان Apprendre et Travailler نتعلم ونعمل. ثم نتعلم لنكون. وبعد سبع سنوات تلاه بحث قيم آخر كان ثمرة مجموعة من الحلقات الدولية حول الأهداف الاجتماعية للتعليم والتربية ونشر فى عام ١٩٨١ تحت عنوان Finalite' de l'Education غايات التعليم(١٥).

اذا كان المجتمع المعلم المتعلم هو الذى يتحول بالتخطيط الاجتماعى الى مدرسة كبرى أو معهد علمى كبير يستمر فيه التعليم مدى الحياه. فمن خلال عمليات التفاعل الاجتماعى المتشابكة والمعقدة تتولد بنية اجتماعية تعلم (بفتح العين وتشديد وكسر اللام) وبنية اجتماعية تتعلم (بتشديد وفتح اللام) بنية اجتماعية تعطى وبنية اجتماعية تأخذ. ومابين التعليم والتعلم والأخذ والعطاء خطوط

اتصال عديدة ومتنوعة. وهنا نتساءل هل استطاع التخطيط الاجتماعى الامساك بزمام هذه الخيوط واذا كان الجواب بالايجاب فهل تم ذلك من خلال النسقين الرئسيين المعنيين ونقصد بهما نسق التعليم ونسق الانتاج؟

ثم تساؤل آخر متى يأخذ مجتمعنا بزمام هذه الخيوط جميعاً وفق مقومات منهج التحليل النسقى. ومتى يتجاوز التخطيط الاجتماعى حالة الحوار المفقود الى حالة الفعل والدور المنشود؟ أما آن الآوان لتضافر الجهود لتحقيق ذلك الهدف الكبير والذى ومن خلاله يمكن أن يتحقق الخير الكثير؟ لعل ذلك يكون آت فى الطريق. وكل آت قريب.

الهوامش والمراجع

(١) انظر فى هذا الصدد الدراسة القيمة التى نشرها عالم الاجتماع الفرنسى الشهير Raymond Boudon تحت عنوان La Place du desordre أى مواطن الخلل والتى ناقش فى جانب منها نقد التغير الاجتماعى الناتج عن غياب التنسيق بين مناهج علم اجتماع التنمية والاجتماع التربوى فى جانب والتخطيط الاجتماعى فى جانب آخر.

Raymond Boudon, **La place du desordre. Critique des theories du changement Social,** Ed. P.U.F. Paris, 1984,p.p.73 - 103.

(٢) Sylvain de Coster, Fernand, Hotayat, **"Sociologie de l'education,** Edition de L'Universite de Bruxelles, Belgique, 1 ere edit .1977, p.p.43, 47-49 et 54.

(٣) انظر فى هذا الصدد أعمال المؤتمر الذى انعقد فى جامعة جرينوبل بفرنسا فى اكتوبر ١٩٧٣ الدراسة زمنية كان موضوعها Planification et Societe .

Collectif, **Planification et Societe,** Presses Universitaires de Grenoble, France, 1974.

(٤) Laurent Dechesne," La crise de notre civilisation selon Sorokin," dans **Bulletin de la classe des lettres et science morales et politique,** Bruxelles, Belgique, 1946

وانظر ايضا - E.Dupreel. **La Logique et les Sociologues**

- La Sociologie et les problemes de la connaissance, Universite de Bruxelles, Rev. de l'Institut de sociologies, 1974 , p.p. 215-219.

(٥) انظر فى هذا الصدد - Robert A. Nisbet, **La Tradition Sociologique**

والذى ترجم من الأمريكية الى الفرنسية بواسطة Martine Azuelos وقامت بنشره دار فرنسا الجامعية للنشر P.U.F فى PARIS سبتمبر عام ١٩٨٤ .

- Emile Durkheim, **Regles de la methode Sociologique,**1960.

- R.Boudon, F.Bourricaud, **Dictionnaire Critique de la Sociologie,** P.U.F. 1982.

- Pierre Burdieu, **Le metier de Sociologue:** Paris, 1966.

- J.C.Passeron , **La Reproduction,** ed. de Minuit, Paris, 1970.

- Jean Cazeneuve, **Bonheur et civilisations,** Paris, 1966.

(٦) انظر M.Crozier, **Organisation et changement, vers une nouvelle methodologie,** ed. d'univ. de Grenoble, 1973.

وانظر ايضا J.C. Passeron, **ibid,.**

(٧) G.Simmel, **Sociologie et epistemologie,** ed.P.U.E . Paris,1981.

وانظر ايضا فى هذا المجال - G. Gurvitch , **Traite de Sociologie,** 2.v. Paris, 1960/61.

- G. Gurvitch, **Les Cadres sociaux de la connaissance** , Paris, P.U.F. 1966.

- R. Boudon, **La crise de la Sociologie,** ed, P.U.F. 1985,p. 159-204.

- R. Nisbet, **Social change and history,** Oxford University press, 1969.

- I. Lakatos , **Falsification and the methodology of Scientific Research,** Cambridge University press, 1970, p. 91-14.

- T. Kuhn, **La Structure des Revolution Scientifiques,** Paris, Ed., Flammarion 1970,p. p. 13-93.

(٨) انظر فى هذا الصدد الدراسة التى قام بها جاك فورنييه عن التخطيط الاجتماعى والمتناقضات الاجتماعية .. حالة الخطة السادسة الفرنسية. والمنشورة فى Planification et Societe. **ibid** .

وانظر ايضا فى هذا الصدد.

- Becker Howard, "Social and Cultural Dynamics" Vol III, in **Rural Sociology,** 1938, p. 356.

- J.J. Servan-Schreiber. Le **defi Americain**, ed. Denoel, Paris, 1967.

- J. Rousselet, **Quelques aspects des ambitions sociaux des adolescents**,P.U.F. Paris , 1962.

- UNESCO, **Asie, Etats Arabes, Education et Progres**,UNESCO, Paris, 1960.

(٩) المرجع السابق

(١٠) Pierre Naville, **Traite de Sociologie du Travail**, 2 v. Paris, 1961-1962.

- A. Touraine, **Bilan de la Sociologie du Travail**, ed.de Seuil, Paris,1982. انظر ايضا

- A. Touraine, **La conscience ouvriere**, Paris, ed, le Seuil, 1966.

- J.Vincens, **Le Prevision Par Professions** ed. A. Colin, Paris 1991.

(١١) C.Levi Strauss, **La notion de structure en Sociologie** , ed. Plon, 3 ed. Paris, 1975.

- R.Boudon, L' Inegalite des Chances, ed.A. Colin, Paris, 1976. وانظر ايضا

(١٢) لويز شارب (محرر) **لماذا نعلم**، ترجمة وتقديم د. محمد على العريان تصدير حسن جلال العروسى - عالم الكتب - القاهرة - مارس ١٩٦٤

وانظر ايضا

- حامد عمار : **التنمية البشرية فى الوطن العربى - المفاهيم - المؤشرات - الأوضاع**، سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٢.

- عبد العزيز القوصى : **حول أهداف التعليم** ، المجالس القومية المتخصصة ، القاهرة ١٩٨١

- احمد صيداوى : "تطوير مفهوم التكافؤ فى الفرص التعليمية"، **مجلة الفكر العربى**، بيروت ٣: ٢٤ ص ٤ - ٤٨.

- احمد ابو زيد : **البناء الاجتماعى** - الجزء الأول - المفهومات - الدار القومية للطباعة والنشر - الاسكندرية.

- على عبد الواحد وافى: **عوامل التربية** ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٧٧ - ص٩١-٩٨ .

(١٣) Henri Mendras, Michel Verret , **Les champs de la Sociologie Francaise** ed. A.Colin, Paris, 1988.

(١٤) Collectif. **Cles pour une Strategie nouvelle du developpement** , ed. Ouvrieres, Paris 1984.

(١٥) UNESCO, **Finalite de L' education**, Paris, 1981.